

البداية والنهاية

وعبد الملك بن مروان وقد ذكره أبو زرعة الدمشقي في الطبقة التي تلى الصحابة وهي العليا وقال له أحاديث وكان كثير اللحم عظيم الجسم كثير الشعر جميلا طويلا ضخام الهامة محدد الأصابع غليظها مجدرا وكان أبوه قد طلق أمه وهي حامل به فرأت أمه في المنام أنه خرج منها قمر من قبلها فقصت رؤياها على أمها فقالت إن صدقت رؤياك لتلدن من يبايع له بالخلافة وجلست أمه ميسون يوما تمشطه وهو صبي صغير وأبوه معاوية مع زوجته الحظية عنده في المنطرة وهي فاخنة بنت قرظة فلما فرغت من مشطه نظرت أمه إليه فأعجبها فقبلته بين عينيه فقال معاوية عند ذلك ... إذا مات لم تفلح مزينة بعده ... فنوطى عليه يا مزين التماثما

وانطلق يزيد يمشى وفاخنة تتبعه بصرها ثم قالت لعن الله سواد ساقى أمك فقال معاوية أما والله إنه لخير من ابنك عبد الله وهو ولده منها وكان أحق فقال فاخنة لا والله لكنك تؤثر هذا عليه فقال سوف أبين لك ذلك حتى تعرفينه قبل أن تقومى من مجلسك هذا ثم استدعى بابنها عبد الله فقال له إنه قد بدا لي أن أعطيك كل ما تسألني في مجلسي هذا فقال حاجتي أن تشتري لي كلبا فارها وحمارا فارها فقال يا بني أنت حمار وتشتري لك حمارا قم فاخرج ثم قال لأمه كيف رأيت ثم استدعى يزيد فقال إنى قد بدا لي أن أعطيك كل ما تسألني في مجلسي هذا فسلني ما بدا لك فخر يزيد ساجدا ثم قال حين رفع رأسه الحمد لله الذي بلغ أمير المؤمنين هذه المدة وأراه في هذا الرأي حاجتي أن تعقد لي العهد من بعدك وتوليبنى العام صائفة المسلمين وتأذن لي في الحج إذا رجعت وتوليبنى الموسم وتزيد أهل الشام عشرة دنانير لكل رجل في عطائه وتجعل ذلك بشفاعتي وتعرض لأيتام بنى جمح وأيتام بنى سهم وأيتام بنى عدى فقال مالك ولأيتام بنى عدى فقال لأنهم حالفوني وانتقلوا إلى دارى فقال معاوية قد فعلت ذلك كله وقبل وجهه ثم قال لفاخنة بنت قرظة كيف رأيت فقالت يا أمير المؤمنين أوصه بى فأنت أعلم به منى ففعل وفى رواية أن يزيد لما قال له أبوه سلني حاجتك قال له يزيد اعتقني من النار أعتق الله رقبته منها قال وكيف قال لأنى وجدت في الآثار أنه من تقلد أمر الأمة ثلاثة أيام حرمه الله على النار فاعهد إلى بالأمر من بعدك ففعل .

وقال العتبي رأى معاوية ابنه يزيد يضرب غلاما له فقال له أعلم أن الله أقدر عليك منك عليه سوءة لك أتضرب من لا يستطيع أن يمتنع عليك والله لقد منعنى القدرة من الانتقام من ذوى الاحن وإن أحسن من عفا لمن قدر .

قلت وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أبا مسعود يضرب غلاما له فقال أعلم أبا

مسعود ﻻ أقدر عليك منك عليه قال العتبي وقدم زياد بأموال كثيرة وبسفت مملوء جواهر